Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهم: قد أجلتكم أجل العدة، وأرخيت لكم طول المدة. ثم ههنا مجمع الشمل، وموقف الفصل، فإن سمحت خواطركم مدحنا، وإن صلدت زنادكم قدحنا، فقالوا له: والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح، ولا في ساحله مسرح، فأرح أفكارنا من الكد، وهنيء العطية بالنقد واتخذنا إخوانا يثبون إذا وثبت، ويثيبون متى استثبت، فأطرق ساعة ثم قال: سمعاً لكم وطاعة، فاستملوا مني، وانقلوا عني: [الإنسان صنيعة الإحسان، ورب الجميل فعل الندب، وشيمة الحر ذخيرة الحمد، وكسب الشكر استثمار السعادة، وعنوان الكرم تباشير البشر، واستعمال المداراة، يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح، وصدق الحديث حلية اللسان، وفصاحة المنطق سحر الألباب، وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق، وسوء الطمع يباين الورع... إلى أن يقول ورأس الرياسة تهذيب السياسة، ومع اللجاجة تلغى الحاجة، وعند الأوجال تتفاضل الرجال، وبتفاضل الهمم تتقاوت القيم... ثم قال: هذه مائتا لفظة تحتوي على أدب وعظة، فمن ساقها هذا المساق؛ فلا مراء ولا شقاق، ومن رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها، فليقل: الأسرار عند الأحرار، وجوهر الوفاء؛ ينافي الجفاء، وقبح السمعة ينشر الشفعة، ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها، حتى تكون خاتمة فقرها، وآخرة دررها [ورب الإحسان صنيعة الإنسان][1].

قال الرازي: فلما صدع برسالته الفريدة، وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ثم اعتلق كل منا بذيله، وفلذ له فلذة من نيله، فأبى قبول فلذتي، وقال: لست أرزأ تلامذتي فقلت له: كن أبا زيد، على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك، فقال: أنا هو على نحولي وفحولي، فأخذت في تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع، ثم أنشد من قلب موجع:

سلّ الزمانُ على عضبه ليروعني، وأحدّ غربه

---

(١) هذه العبارة عكس العبارة الأولى من الحديث (الإنسان صنيعة الإحسان، ورب...)